مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الإبداع الفكري عند ابن خلدون في

(ما يعرض للمؤرخين من مغالط)

أ.د/ اسراء حسن فاضل

الجامعة المستنصرية –كلية الاداب– قسم التاريخ

israaahasan@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/23 م تاريخ التحكيم: 2021/06/01م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص:

يعد ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، اول العلماء المفكرين المسلمين، الذي كتب في موضوع نادر في غاية الاهمية، استهل به كتابه المشهور– المقدمة– بعنوان(ما يعرض للمؤرخين من مغالط وذكر شئ من اسبابها)، ابدع فيه، واغناه بافكاره وارائه الجديدة، وتعليلاته الفريده، وتحليلاته السديده، وحججه القوية، مبيناً الهدف من تناوله، والفائده من الكتابة فيه، موضحاً اسباب الوقوع في تلك المغالط، التي زلت فيها اقلام المؤرخين الاوائل من امثال اليعقوبي (292هـ)، والطبري (310هـ)، والمسعودي (346هـ) وغيرهم، مشيرا الى وسائل اكتشافها وكيفية تجنبها، ولقد نال الموضوع هذا، اهتماما بالغاً، وعناية فائقة من لدنه جاعلاً اياه مفتاح مقدمته.

مشيرا بذلك الى حيثيات ما يحصل للمؤرخين من مغالط التي حددها بخمسة اسباب رئيسية مفضية الى الغلط، والمقتضية للكذب في الاخبار، يتناول ابن خلدون المغالط التي وقع بها المؤرخون،كأدله على ما قرره، مبينا اسبابها ودوافعها الظاهر منها والخفيه، بالمطابقة والامكان والاستحاله. وفي هذا الصدد يناقش ابن خلدون عدة روايات. والتي سيتضمنها البحث مع تفصيلات اخرى واراء ومناقشات ذكرت في ثناياه.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون – المقدمة – مغالط المؤرخين.

Intellectual creativity of Ibn Khaldun in (Fallacies that are presented to historians)

Abstract:

Ibn Khaldun (d. 808 AH / 1405 CE) was considered the first Muslim philosophers, who wrote on a rare topic of great importance, with which he began his famous book - Introduction - entitled (What is presented to historians of fallacies and mentioned something of their causes). And his unique explanations, good analyzes, and strong arguments, indicating the purpose of dealing with it, and the benefit of writing in it, explaining the reasons for falling into those fallacies, in which the pens of early historians such as Al-Yaqoubi (292 AH), Al-Tabari (310

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

AH), Al-Masoudi (346 AH), and others remained. Pointing to the means of discovering them and how to avoid them, and this topic has received great attention and great care from it, making it the key to its introduction.

He was referring to this to the reasons for the fallacies that happen to historians, which he identified with five main reasons leading to the error, and the necessity for lying in the news. Ibn Khaldun deals with the fallacies that historians have fallen into as evidence for what he decided, indicating their apparent and hidden causes and motives, with conformity, possibility, and impossibility. In this regard, Ibn Khaldun discusses several accounts. Which will be included in the research, along with other details, opinions and discussions mentioned in it.

Key words: Ibn Khaldun- Introduction- historians of fallacies.

البحث:

إنَّ تاريخ الأُمة في حيويته وأصالته، لا يتحدد ببداية، ولا يؤرخ بحدث، فهو مسيرة متصلة من بدايات ارتبطت بنشأة الأُمة وتكوينها التاريخي الموغل في القدم، أكّد ذلك المؤرخون من أمثال، خليفة بن خياط (ت 240هـ)[1] وابن حبيب (ت 245هـ)[2] والمسعودي (ت 346هـ)[3] وابن الأثير (ت 630هـ)[4] والسخاوي (ت 902هـ)[5]، وهو لا يزال، ذاكرة الأُمة وسجل لإرادتها ومآثرها، ووعاء لتجاربها، وصورة لحركتها ومسيرتها في الحياة، إذ به كما يقول ابن دحية (تعرف المناقب والمفاخر ويدرك العلم الأول والآخر)[6]. وينقل السخاوي عن الكمال جعفر الأدفوي قوله: (... لقد وضع فيه السادة الحفاظ والأئمة العلماء الأيقاظ كتباً تكاثر نجوم السماء، ثم منهم بيقين من رتب على السنين، ومنهم من رتب على الأسماء ليكون أسنى وأسمى، ثم منهم من خص بعض البلاد، ومنهم من عمَّ كل قطر وناد)[7]. رغب في الاطلاع عليه سادة الأُمم والقبائل وأهل المحامد والفضائل، إذ أنَّ الاطلاع في أخبار الناس مرآة الناظر تصرف عن المحاسن والمقابح، ويهذب ذوي البصائر والقرائح[8].

ولقد أدرك العلماء العرب، أهمية التاريخ وتأثيره في حياة الفرد والجماعة، فنبهوا على ضرورة تعلمه وتعليمه، واستنباط حكمه وأمثاله، وتدبر سياساته وتقلب أحواله، لتسمو النفس بمعرفتها، وتَعتبر بعد الاطلاع عليها. يقول الكافيجي الحنفي: (إنَّ التاريخ من المهمات العِظام، مقبول عند الأنام، اشتمل على فكر وعبر، ومنطوٍ على مصالح وماحسن على وجه معتبر، ولولاه لم يصل إلينا لا خبر ولا أثر، وهو

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

غذاء الأرواح والأشباح خزانة أخبار الناس والرجال، معدن العجائب والغرائب والروايات والأمثال، زين الأديب، وعمدة اللبيب، عون المحدث، وذخر الأديب، يحتاج إليه الملك والقائد البصير وغيرهم ممن عز أمرهم)[9].

والتاريخ عند ابن خلدون: (هو فنٌ من الفنون، التي تتداوله الأُمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هوفي ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول)[10]، ولكونه خبراً –كما يقول- فإنّه يحتمل الصدق والكذب، والمدخول والمنحول، والصحيح والغلط، والسليم والسقيم، والغث والسمين، والواقع والخيال، والاقتضاب والاطناب، والتهويل والمبالغة، والحقيقة والوهم، والدس والتشويه، ولهذا يلزم فيه التدقيق والتحليل، والنظر والتحقيق للوصول الى الحقيقة مجردة من الميل والهوى.

ولهذا قال الطبري: (وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنَّ اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها الى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذكان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا باخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكر قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنىً في الحقيقة، فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدي إلينا)[11].

لقد نبّه الطبري في قوله هذا، القارئ والباحث، الى مسألة في غاية الأهمية، جوهرها (النظر والتدقيق، قبل القبول والتصديق) لأن منهجه كما ذكر، هو تدوين كل الأقوال التي وردت إليه في الحادثة الواحدة، تاركاً مهمة الترجيح والقبول والتصديق الى الباحث، لعلمه أنَّ الخبر أو الرواية التاريخية مفتوحة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

على كل الاحتمالات وعلى الباحث أن يمحص ويدقق تلك الراوية ويقارنها مع الروايات الأُخرى، وينقدها إيجابياً وسلبياً، ظاهراً وباطناً، آخذها بزمان وقوعها والظروف التي أحاطت بها، فإذا تبيّن له من خلال ذلك كله، وجه الصحة في الراوية أخذ بها واعتمدها، وإلا فليتركها لافتقارها الى الصحة والدقة والعدالة.

اما ابن خلدون، فكان أدق وأوضح في بيان أوجه التضعيف والتلفيق والوضع والاختلاف في الراويات التاريخية وعلّة عدم التصدي لها وكشف زيفها وإثبات صحتها، فقال: (وفي باطنه –أي التاريخ– نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات والوقائع وأسبابها عميق ... وأنَّ فحول المؤرخين في الإسلام، استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطّروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وَهِموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال، ولم يرعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرق التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم تسيب للأخبار وخليل ... والناقل انما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلوها صفحات القلوب ويصقل ... والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم، فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها ألأخبار، وتحمل عليها الروايات والآثار)[12].

إنَّ ابن خلدون يُعد أول من تنبه ونبّه على ضرورة نقد هذه المنهجية وتعديل مسارها بالأدلّة والحُجج وصولاً لقبول صحيح رواياتها، ورفض غلطها. ولأهمية هذا الموضوع عنده، فإنَّه استهل به كتابه المشهور (المقدمة) بعنوان (لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها)[13]. فقال: (اعلم أنَّ فن التاريخ فنٌ عزيز المذاهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأُمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج الى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان صاحبهما الى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الحق، وكثيراً ما وقع للمرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة، والقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط)[14].

أما الأسباب المفضية الى الغلط والمقتضية للكذب في الأخبار، فيذكرها في أول الكتاب الأول من كتابه المقدمة، نجملها على شكل نقاط كالآتي:

1 -الجهل بطبائع الأحوال في العمران، فإنَّ كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض.

2 - الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح.

3 - الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب.

4 - الجهل بتطبق الأحوال على الوقائع لأجل ما بداخلها من التلبيس والتصنع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه.

5 - تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التجلّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال، وإشاعة الذكر بذلك، فستفيض الأخبار بها على غير حقيقة[15].

وبعد هذا كله، يتناول ابن خلدون المغالط التي وقع بها المؤرخون، كأدلة على ما ذهب إليه، مبيناً أسبابها ودوافعها الظاهرة منها والخفية، بالمطابقة والإمكان والاستحالة، فذكر الكثير منها[16]، وهي عنده على قسمين[17]:

القسم الأول: مغالط جلية ظاهرة.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

القسم الثاني: مغالط خفية مستورة.

نقتبس بعضاً من القسمين على سبيل المثال لا الحصر دفعاً للإطالة.

فمن مغالط القسم الأول، وهي المغالط الجلية الظاهرة التي وقع فيها المؤرخون والمفسرون وأئمة النقل، بسبب اعتمادهم على مجرد نقل الحكايات والوقائع، غثاً أو سميناً، فلم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة، ولا حكَّموا النظر والبصيرة فيها[18]، ومن أول مغالط هذا النوع، على تصنيف ابن خلدون، ما وقع فيه المسعودي[19] وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل بأنَّ موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أنْ أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها، فكانوا أكثر من 600000 (ستمائة ألف أو يزيدون)[20].

أما الكثيرون الذين وقعوا في هذا النوع من المغالط لم يذكر ابن خلدون أسمائهم، فذكر على الأقل اثنين منهم المعاصرين للمسعودي كدليل على صحة ما ذهب إليه، وهما اليعقوبي (ت 292هـ) والطبري (ت 310هـ).

فاليعقوبي، يذكر العدد الذي خرج به موسى عليه السلام كان 600 ألف إنسان بالغ[21]، وفي رواية أُخرى له، أنَّ العدد كان 603550 رجلاً ممن بلغ العشرين فما فوق الى الستين ممن يحمل السلاح[22]، مستبعداً من كان دون العشرين وفوق الستين من الذكور، وكذلك الذرية من الإناث.

أما الطبري، فيذكر أنَّ العدد الذي خرج به موسى عليه السلام من بني اسرائيل كان 620000 مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية[23].

ويكشف ابن خلدون الغلط الذي وقع فيه المسعودي وغيره من المؤرخين في ذكر الأعداد المبالغ فيها من بني اسرائيل الذي خرج بهم موسى عليه السلام هرباً من فرعون مصر، بقوله:

1 -إنَّ الذي بين موسى واسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، فإنَّ موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وهو اسرائيل الله، هكذا نسبه في التوراة، والمدة بينهما على ما

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

نقله المسعودي، قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفساً، وكان مقامهم بمصر الى أنْ خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة، ويبعد أنْ يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد.

2 - لو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم، فإنَّ العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قلتها وكثرتها. والقوم لم تتسع ممالكهم قياساً باتساع ممالك الفرس والروم وممن سبقهم من الدول والأُمم، الذين كانت جيوشهم أقل بكثير من عدد جيوش بني اسرائيل[24].

3 - يمكن أنْ نضيف دليلاً قاطعاً لا شك فيه يقصد رأي ابن خلدون ويكشف المغالط التي وقع فيها المؤرخون في ذكرهم للعدد المبالغ فيه كثيراً لبني اسرائيل، وهو قوله تعالى: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54)}**[25]. والشرذمة من الناس، هم الجماعة القليلة، ولا يقال لمن بلغ عددهم (ستمائة ألف أو يزيدون) من الذكور ممن يطيق حمل السلاح من ابن عشرين سنة فما فوقها، بأنهم شرذمة، أي قلّة قليلة.

ومن المفارقات الغريبة أو من المغالط على حد تعبير ابن خلدون، ما ذكره اليعقوبي حول السرادق وقبة الزمان، حيث قال: (إنَّ الله أمرَ موسى أنْ يبني في التيه قبة الزمان، فعمل سرادقاً طوله 100 ذراع -50م- وعرضه 50 ذراعاً -25م- وفي مقدمته الهيكل وتابوت السكينة لا يدخله إلا هارون وموسى على الستر، وسائر بني اسرائيل في السرادق)[26].

فإذا كان عدد بنو اسرائيل من المقاتلين الذكور ممن هم فوق العشرين ودون الستين، الذين ذكرهم المسعودي وغيره من المؤرخين، قد بلغ أكثر من 600000 (ستمائة ألف) مقاتل، فإذا أُضيف إليهم الذكور دون العشرين ودون الستين والإناث، فالعدد سيرتفع الى (1,5 مليون الى 2 مليون)، فلو

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

قسّمنا على أقل تقدير 1,5 مليون منهم على مساحة السرادق البالغة 1250م^2، فسيكون الناتج 1200 إنسان في المتر المربع الواحد، وهذا مستحيل وقوعه.

ومن هذا النوع من المغالط، الذي وقع فيها بعض المؤرخين من امثال الطبري(27) والمسعودي(28)، في خبر تُبَّع وهو اسعد أبو كرب، وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية(29)، (وانه ملك الموصل وأذربيجان ولقى الترك فهزمهم وأثخن، ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك، وأنَّه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد أُمم الترك وراء النهر، والى بلاد الروم فملك لأول البلاد الى سمرقند وقطع المغازة الى الصين فوجد أخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه إليها فأثخنتا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنائم وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير، وهم بها الى عهد ابن خلدون وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع)(30). ويضيف الطبري: (انه غزا الحيرة والأنبار أيضاً، وأنَّه هو الذي دخل الصين، فقتل المقاتلة، واكتسح ما وجد فيها –وليس أبنائه– وكان مقامه في الصين ورجعته منها في سبع سنين، وأنَّه خلف بالتبت اثنى عشر ألف فارس من حمير، فهم أهل التبت، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب، وخلقفهم وألوانهم خلق العرب وألوانها)(31). والمسعودي يضيف الى ذلك، بلاد خراسان، وسجستان(32). يقول ابن خلدون: (وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة، عريقة في الوهم والغلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة، ويعلل ذلك، بأن ملك التبابعة انما كان بتحريه العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليهم... ولم ينقل قط أنَّ التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأُمم... ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال، وأيضاً الثقة من البحر الى بعيدة، وتحتاج الجيوش الى تأمين الامدادات من غذاء وعلوفة للعساكر الكثيرة ومسك الأرض وتأمينها، أما غزوهم بلاد المشرق وأرض الترك والصين وما إليها من بلاد العراق وبلاد الروم وتدمير القسطنطينية، فهذا مُحال، لأنَّ الثقة هنا أبعد، وأُمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك، ولم ينقل قط أنَّ التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم... فمجاورة أرض الفرس بالغزو الى بلاد الترك والتبت والصين وأرض الروم، ممتنع عادةً من أجل الأُمم المعترضة والحاجة الى الأزودة والعلوفات مع بعد الثقة كما مر، فالأخبار بذلك واهية مدخولة)(33).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومن هذا الصنف من المغالط أيضاً، الذي يقول عنه ابن خلدون: (ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين، ما ينقلونه في سبب إيقاع الخليفة الرشيد بالبرامكة من قصة العباسيه اخته —وهي ابنة الخليفة المهدي العباسي وزوجها محمد بن سليمان الشرقي(34)– مع جعفر بن يحيى مولاه، وأنَّه لكلفه بمكانهما، أذِنَ لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه، وأنَّ العباسيه تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها، زعموا في حالة سكر فحملت منه، ووشي بذلك للرشيد، فاستغضب)(35). فأوقع بالبرامكة سنة 187هـ(36)، ويذكر المسعودي، أنَّ الخليفة الرشيد أخذ على جعفر البرمكي عهد الله ومواثيقه وغليظ إيمانه أنَّه لا يخلو بها —أي بالعباسيه– ولا يجلس معها، ولا يظله وإياها سقف ببيت إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما، فحلف له جعفر على ذلك، ورضي به، وألزمه نفسه(37)، فلما خالف ذلك وفعل ما فعل وعلم الخليفة الرشيد بذلك، أمر بقتله، وحبس الآخرين، فصادر أموالهم وقبض ضياعهم. والقصة هذه لم يذكرها خليفة بن خياط (ت 240هـ)(38)، ولا الفسوي (ت 277هـ)(39)، ولا اليعقوبي (ت 292هـ)(40)، وهم أقرب الى الحدث من غيرهم.

والقصة بهذا الشكل ينفيها ابن خلدون جملةً وتفصيلاً، كما نفاها غيره، واعتبرها من الحكايات المدخولة للمؤرخين، ويسوق الأدلّة العقلية والمنطقية على أنها من الروايات المستنكرة والمكذوبة، فقال:

1 –هيهات وقوع ذلك من منصب العباسيه في دينها وأبويها وجلالهما، وأنها بنت عبد الله بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده، فهي ابنة خليفة وأخت خليفة... البعيدة عن عوائد الترف، ومراتع الفواحش —وصفوها بالعنف وصلاح الدين وكرم الأخلاق وطهارة المنبت وحسن السيرة والدين– فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها، أو أين توجد الطهارة والزكاء إذا فقد من بيتها(41).

2 –كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولىً من موالي العجم.

3 –كيف يسوغ للخليفة الرشيد وهو المعروف بتقواه وزهده وجهاده أنْ يصهر الى موالي العجم على بعد همته وعظم ابائه، وهو ما ينكره ويستنكف منه أبسط الناس، لعدم التكافؤ(42).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

4 - إنَّها كانت متزوجة من محمد بن سلمان وهي بعصمته ولها منه ولدين[43]، فلا يصح أصلاً دينياً وأخلاقياً عقد الزواج على جعفر بن يحيى البرمكي وهي بعصمة زوجها، فضلاً عن شروط الزواج التي ذكرها من روى القصة، هي شروط فاسدة، مخالفة للشرع الإسلامي.

يقول ابن خلدون، لو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، لاستنكره ولج في تكذيبه[44].

ومن المفيد جداً، أنْ نذكر الأسباب الحقيقية التي ذكرها ابن خلدون في إيقاع الخليفة هارون الرشيد بالبرامكه، فقال:

1 - استبدادهم على الدولة واحتجافهم أموال الجباية، حتى أنَّ الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه.

2 - إنَّهم غلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه.

3 - استيلائهم على مناصب الدولة المهمة من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم، فكان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم.

4 - إنَّهم زاحموا أهل الدولة بالمناكب ودفعوا عن المناصب بالراح.

5 - استولوا على القرى والضياع من الضواحي والأمصار في سائر الممالك.

6 - التبرمك من أموال الدولة لشراء الذمم، فانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الأموال، وتخطّت إليهم من أقصى التخوم وهدايا الملوك وتحف الأمراء ... ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم.

7 - اطلاقهم يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى، الذي ثار على الرشيد سنة 176هـ بالديلم[45]، ونزل على صلح الفضل بن يحيى البرمكي فأتى به بغداد، فقبض عليه الرشيد ودفعه الى جعفر البرمكي وجعل اعتقاله بداره، فأطلقه سنة 187هـ[46]، دون علم الخليفة الذي علم بالأمر، فقال لجعفر بعد خروجه من مجلسه: (قتلني الله إنْ لم أقتُلك)، فكان من أمره ما كان[47].

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

8 - وهناك أسباب أُخرى مهمة ذكرها المؤرخون، يأتي في مقدمتها ما ذكره الطبري من: (أنَّ الفضل بن يحيى البرمكي حين تولى خراسان سنة 178هـ، اتخذ بها جنداً من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم، وأنَّ عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل، وأنَّه قدم منهم ببغداد عشرون ألف رجل فسموا ببغداد الكرنبية، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم)[48] مما أثار حفيظة الخليفة وساورته الشكوك وداهمته الريبة في هذا العمل الذي قد يراد منه قلب نظام الحكم عليه، فسارع وألَّف فرقة من العرب وجعل مقامها في بغداد تحسباً لأي طارئ. وهذه وغيرها فادحة في الملك واهية للسلطان، لا يقبل بها آحاد الأُمة، فكيف يقبلها الخليفة الرشيد وهو من عظماء الخلفاء، ولهذا اتخذ إجرائه ضدهم، حمايةً لسلطانه وحفاظاً على مصلحة الأُمة.

القسم الثاني: مغالط خفية مستورة، يقول ابن خلدون عنها: (ومن الغلط الخفي في التاريخ، الذهول عن تبدل الأحوال في الأُمم والأجيال بتبدل الاعصار ومرور الأيام، هو داءٌ دويٌّ شديد الخفاء، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب طويلة، فلا يكاد يفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة، وذلك أنَّ أحوال العالم والأُمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حالٍ الى حالٍ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول **{سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}**[49])[50]. ويدل على ذلك بانتقال أحوال أُمم الفرس الأولى والسريانيون والنبط والتبابعة والقبط الى أحوال أُخرى فجاء بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب، ثم تبدل ذلك بمجيئ الإسلام، وهكذا تتبدل الأحوال والعوائد، فلا تستقر على حالٍ واحدة، ولهذا يقول: (ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده، وتعوج به عن مراميه، فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها، فيجر بها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً، فيقع في مهواة من الغلط)[51].

يقول ابن خلدون: (ومن هذا الباب، ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ إذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرئاسة في الحروب وقَوْد العساكر، فتترامى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الرتب، يحسبون أنَّ الشأن خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل، ويظنون بأنَّ أبي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف بإشبيلية إذا سمعوا أنَّ آباءهم كانوا قضاة أنَّهم مثل القضاة لهذا العهد، ولا يفطنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة والعوائد، وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالأندلس وأهل عصبيتها، وكان مكانهم فيها معلوماً، ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد، بل انما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها، وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف وتقليدهم عظائم الأمور التي لا تقلد إلا لمن له الغنى فيها بالعصبية، فيغلط السامع في ذلك ويحمل الأحوال على غير ما هي، وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من أهل الأندلس لهذا العهد، لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة)(52).

ومن هذا الباب أيضاً كما يقول ابن خلدون: (ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها، فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأُمه ونساءه ولقبه وخاتمه... كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطُن لمقاصدهم، والمؤرخون لذلك العهد يضعون تواريخهم لأهل الدولة، وأبناؤها متشوقون الى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم يقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم، وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد –عهد ابن خلدون– في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب.. إنما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ)(53).

ومنها ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم، فيذكر ابن خلدون في هذا الصدد: (ما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية، وكيف اتخذ تابوتاً من الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قاع البحر –ومعه رجلان من كُتّابه ممن لهم علم بإتقان التصوير– حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية الي رآها، وعمل تماثيلها من اجساد معدنية، ونصبها حذاء البنيان، نفرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها، وتم له بناؤها)(54).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

يعلق ابن خلدون عن هذه الرواية بقوله: (حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذه التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأمواجه بجرمه، ومن قبل أنَّ الملوك لا تحمل أنفسها على مثل هذا الغرر، ومن اعتمده منهم فقد عرَّض نفسه للهلكة وانتقاص العقدة واجتماع الناس الى غيره، وفي ذلك اتلافه، ولا ينتظرون به رجوعه عن غرور ذلك طرفة عين، ومن قبل أنَّ الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها، إنما هي قادرة على التشكل، ومنا يذكر من كثرة الرؤوس لها، فإنما المراد البشاعة والتهويل لا أنه حقيقة. وهذه كلها قادحة في تلك الحكاية، والقادح المحيل لها من طريق الوجود أبْيَن من هذا كله، وهو أنَّ المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي، وتسخن روحه بسرعة لقلته، فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي،و يهلك مكانه، وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات إذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد، والمتدلين في الآبار والمطامير العميقة المهوى إذا سخن هواؤه بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتتخللها، فإنَّ المتدلي فيها يهلك لحينه)[55].

يقول ابن خلدون عن هذه المغالط وغيرها التي ذكرها[56]: (قد زلَّت أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية، واندرجت في محفوظاتهم متى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً، وناظره مرتبكاً، وعد من مناحي العامة[57] ولتلافي الوقوع في مثل هذه المغالط او التصديق بها ونقلها دون روية وتدقيق ومقارنة ومقابلة، وإمكان ومستحيل، فإنَّ صاحب هذا الفن يحتاج الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأُمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أُصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث واقفاً على أُصول كل خبر، وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأَصول فإنْ وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً، وإلا زيَّفه واستغنى عنه).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الهوامش

(1) أبو عمر الليثي، كتاب التاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الآداب، ط1، النجف الأشرف، 1967م، ص706.

(2) أبو جعفر محمد، كتاب المحبر، دار آفاق، بلا، ص805.

(3) أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، 1965م، ص172-178.

(4) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، 1965م، 10/1.

(5) شمس الدين أحمد عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، ترجمة أحمد صالح العلي، طبعة بغداد، 1963م، ص447.

(6) أبو الخطاب عمر بن الشيخ (ت 633هـ)، كتاب البنراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1946م، ص2.

(7) شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ)، مصدر سابق، ص424.

(8) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت 521هـ)، ذيول تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1977م و 1982م، (التكملة ص1879).

(9) محي الدين محمد بن سليمان (ت 879هـ)، المختصر في علم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، المشار إليه سابقاً، ص470.

(10) عبد الرحمن الحضرمي (ت 808هـ)، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، بلا، ص3-4.

(11) محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م، 1/7-8.

(12) المقدمة، ص3-4.

(13) المقدمة، ص9.

(14) المقدمة، ص9.

(15) المقدمة، ص29.

(16) المقدمة، ص9-30.

(17) المقدمة، ص9-30.

(18) المقدمة، ص9.

(19) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، 1964م، 49/1.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

(20) مروج الذهب، 49/1.

(21) أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح الاخباري،كتاب التاريخ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، 1964م، 27/1.

(22) كتاب التاريخ، 29/1.

(23) تاريخ الرسل والملوك، 414/1.

(24) المقدمة، ص9-10.

(25) الشعراء، آية 52-54.

(26) التاريخ، 27/1.

(27) تاريخ الرسل والملوك، 560/1-567.

(28) مروج الذهب ومعان الجوهر، 76/1.

(29) ابن خلدون، المقدمة، ص11.

(30) ابن خلدون، المقدمة، ص11.

(31) تاريخ الرسل والملوك، 567/1.

(32) مروج الذهب ومعادن الجوهر، 76/1.

(33) المقدمة، ص11-12.

(34) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 276هـ)، فتوح البلدان، تحقيق عبد اله وأنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م، ص513.

(35) المقدمة، ص13.

(36 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 294/8؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 377/3و384.

(37) مروج الذهب ومعادن الجوهر، 384/3.

(38) تاريخ، ص458، حوادث 187هـ.

(39 أبو يوسف يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، 351/3.

(40) التاريخ، 158/3.

(41) المقدمة، ص13.

(42) المقدمة، ص14.

(43) البلاذري، فتوح البلدان، ص513.

(44) المقدمة، ص14.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

(45) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 242/8.

(46) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 289/8.

(47) المقدمة، ص14-15؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 289/8.

(48) تاريخ الرسل والملوك، 257/8، أنظر 287/8-288.

(49) غافر، آية 85.

(50) المقدمة، ص24.

(51) المقدمة، ص25.

(52) المقدمة، ص25-26.

(53) المقدمة، ص26.

(54 مروج الذهب ومعادن الجوهر، يذكر المسعودي رواية مفصلة طويلة عنها، 371/1-373.

(55) المقدمة، ص30.

(56) المقدمة، ص9-30.

(57) المقدمة، ص23.

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت 630هـ).

1 - الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، 1965م.

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 276هـ).

2 - فتوح البلدان، تحقيق عبد الله وأنيس الطباع، مؤسسة املعارف، بيروت، 1987م.

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت 245هـ).

3 - كتاب المحبر، دار آفاق، بلا.

- ابن خياط، خليفة بن خياط بن عمر البشي (ت 240هـ).

4 - كتاب التاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1967م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ).

5 - المقدمة، مبطعة مصطفى محمد، القاهرة، بلا.

وطبعة دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 2010م.

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الشيخ (ت 633هـ).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

6 - كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1946م.

- السخاوي، مس الدين أحمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ).

7 - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عن المسلمين لروزنثالن ترجمة أحمد صالح العلي، طبعة بغداد، 1963م.

- الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ).

8 - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م.

- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت 277هـ).

9 - المعرفة والتاريخ، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

- الكافيجي، محي الدين محمد بن سليمان (ت 879هـ).

10 المختصر في علم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب التاريخ عند المسلمين لروزنثال، ترجمة أحمد صالح العلي، طبعة بغداد، 1963م.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ).

11 التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، 1965م.

12 مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر 1964م.

- الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت 521هـ).

13 ذيول تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح الاخباري (ت 292هـ).

14 كتاب التاريخ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، 1964م.